المصطلح اللغوي وسبل توحيده

د.أحمد نعيم الكراعين

جامعة فيلادلفيا / عمان-الأردن

«المصطلح لغة: من الثلاثي صَلُحَ...صالحه مصالحة وصلاحاً واصطلحا واصّالحا وتصالحا...» (1). ولم ترد كلمة مصطلح في القاموس المحيط ولكن وردت لفظة اصطلح بمعنى الصلح والاتفاق وأما في المعجم الوسيط فقد ورد "الاصطلاح" «:مصدر اصطلح واتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته»(2).

يقول د.عبد الكريم اليافي: " اللغة وطن الأمة الروحي، ولذلك تحافظ الأمة على لغتها محافظتها على حياتها"(3).

لقد تخلف العرب في ميدان العلوم المادية في العصر الحديث، وعلى أصحاب العقد والحل من علماء وأساتيذ جامعات وأصحاب قرار في السلطة تقع مسؤولية تدارك هذا الأمر، إن هم شعروا بواجبهم نحو هذه الأمة وانتمائهم لها، وأنهم يعزّون إن هي عزّت ويرتقون برقيها، وها هي تجارب أمتهم في القديم عندما خرجت من الجزيرة العربية لا تملك ولا تعرف من علوم الدنيا إلا النزر اليسير فنقلوا وترجموا وتفاعلوا مع الحضارات الأخرى حتى شكلوا لهم حضارة خاصة بهم لانزال نتغنى بها حتى يومنا هذا، وها هي تجارب الأمم الأخرى بين أيديكم من الصين إلى كوريا إلى الدولة العبرية التي نعيش معها في صراع مستمر يعدّ محفّزاً لنا لكي ننهض ونلحق بالركب المتقدم.

ولما كان وضع المصطلح وتوحيده من أهم المسائل التي تعاني منها لغتنا في العصر الحديث، أصبح لزاماً علينا أن نعالج هذا الأمر ونتدارسه ونتبين العقبات والصعاب ونضع لها الحلول المناسبة.

إن أي تصور في الذهن يستدعي لفظاً يدل عليه ولكل مسمّى اسم ولكل مدلول دالّ يدل عليه ولكل مولود اسم يدعى به، وأي اختلاف في الدّال في لغة واحدة يحدث إشكالاً في تصور المدلول وفهم الدلالة.

لقد تقدم العلم وتطور في هذا القرن عند الأمم المتقدمة تطوراً مذهلاً لم يعد في مقدور المناهج الأساسية المستخدمة في التعريب أن تلاحقه، ففي كل يوم تحدث اختراعات جديدة يضع أصحابها أسماء، ونقف نحن لنقرأ هذه الأسماء ونسمع عنها في وسائل الإعلام المختلفة، فهي بالنسبة لنا تصورات مجهولة لأنا لا نعرف حقيقتها ولأنا لم نخترعها، وإن حاول المختصون أن يعرفوا، فإنهم يختلفون في وضع الإسم أو اللفظ أو المصطلح الذي يدل عليها في الأقطار العربية المختلفة، فهذا يترجم المصطلح من الإنجليزية وذلك عن الفرنسية وثالث عن الألمانية...الخ، وأحدهم يلجأ إلى إدخال المصطلح كما هو في لغته الأصلية والثاني يعرّبه ويشتق له، أو ينحت له مصطلحاً

من اللغة العربية، ويدرسه لطلابه أو يسجله في أبحاثه، ويزداد هذا الأمر، حتى أن الدارس أو الباحث في موضوع معين في المشرق العربي "على سبيل التوسع" يكاد لا يفهم مصطلحات أهل المغرب العربي في التخصص الواحد في اللغة الواحدة، وهذا يقودني إلى التحدث عن المصطلح اللغوي والمشكلات التي تعترض توحيده.

لقد تقدمت الدراسات اللغوية في العالم في هذا القرن تقدماً كبيراً لم تعرفه في سالف عهدها وأصبح لها علم مستقل بعد ظهور فرديناند دي سوسير وقد عرّفه بأنه "دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها"، عرف بعلم اللغة العام . General Linguistic Science وقد حددت مستويات الدراسة لهذا العلم بالمستويات التالية:

1 - المستوى الصوتي.Phonetics

2 - المستوى الصرفي.Morphology

3 - المستوى التركيبي. Syntax

4 - المستوى الدلالي والمعجمي.Semantics

وصارت الدراسات الأدبية والنقدية تعتمد في دراستها على هذا التحليل اللغوي بمستوياته المختلفة، لأنها تعد الركائز الأساسية لفهم النص اللغوي، وفضلاً عمّا لدينا في لغتنا العربية من دراسات لغوية متقدمة، بذلها علماء اللغة العربية، أمثال الخليل بن أحمد (ت 175هـ) وسيبويه (ت 180هـ) وابن جنّي (ت 392هـ) - على سبيل التمثيل لا الحصر - فإن مناهج الدراسة عند الغربيين قد اختلفت عما كان عندنا وتطورت تبعاً لتطور العصر وتقدم التقانة (التكنولوجيا)، وهذا واضح في مجال علم الأصوات Phonetics والمختبرات اللغوية الحديثة، وهكذا أصبح لكل فرع من فروع علم اللغة مصطلحاته الخاصة به، حتى أننا نجد أن مصطلح "Linguistic" ترجمه أو نقله الباحثون في الدراسات اللغوية في لغتنا العربية إلى: 1 - اللسانيات 2 - اللغويات 3 - علم اللغة 4 - الألسنية.

وكذلك Phonetics إلى علم الأصوات - الصوتيات - الفوناتيك، وهكذا في بقية فروع علم اللغة.

وبما أن الإصطلاح "رمز وضع بكيفية اعتباطية أو اتفاقية بين فئة من المختصين في حقل معين من حقول العلم والمعرفة لضرورة البحث ، فإنّ هذا الوضع يحتاج إلى إيضاح يحدّد مجال استخدام الرمز ومعناه وقيمته حتى لا يتوه القارئ عند التطبيق ويفقد الاصطلاح جدواه"(4).

ولقد فرق بعض الباحثين بين المفرد اللغوي والمصطلح العلمي وذلك من أجل غايات الترجمة والتعريب، ويظهر هذا في مقالة للدكتور عبد الكريم اليافي يقول فيها " إن المفرد اللغوي ينطلق الفكر فيه من اللفظ إلى المعنى أو التصور الذي قد نجده في المعجم. أما المصطلح فإن الفكر يتجه فيه من التصور أو المعنى أو الشيء الجديد الناجم ويبحث عن اللفظ المناسب للدلالة عليه ولتخصيصه به"(5). وهذا ما يظهر دائماً في مقدمات الأبحاث التي تتناول علوماً محددة حيث يبيّنون المعنى اللغوي أولاً ثم المعنى الاصطلاحي بعد ذلك وما يظهر بينهما من تعميم وتخصيص للدلالة.

وبعد فإنني أرى أن أتقدم ببعض المقترحات التي تساعد على توحيد المصطلح بشكل عام والمصطلح اللغوي بخاصة:

1 - العمل على تشكيل لجان متخصصة داخل مجامع اللغة العربية المختلفة تختص كل منها بوضع معجم

متخصص في كل علم يكون ثنائي أو ثلاثي اللغة، لتحديد المصطلحات ودلالاتها ولتكن إحدى هذه اللجان لجنة المصطلحات اللغوية.

2 - إصدار نشرة فصلية (مثلاً) في كل مجال وتوزيعه على المؤسسات الأكاديمية تشرف عليها اللجان المتخصصة.

3 - الطلب من أقسام اللغات في المؤسسات الأكاديمية العربية أن يقوموا بتكليف طلاب الدراسات العليا بخاصة بجمع المصطلحات ودراستها وتزويد لجنة المصطلحات اللغوية بصورة عن أبحاثهم، مثل المصطلحات الواردة في كتاب مترجم أو المصطلحات القديمة والحديثة في أحد فروع علم اللغة....الخ.

إن توحيد المصطلح يؤدي إلى توحيد اللغة التي تعمل على توحيد الأمة فكرياً وحضارياً.

هوامش

1-القاموس المحيط - مادة : صلح.

2-المعجم الوسيط - مادة: صلح.

3-مجلة " التعريب" ، عدد آذار 1991م ، ص 17 ، مكانة اللغة العربية...

4-المصطلح النقدي في نقد الشعر-إدريس الناقوري-دارالنشرالمغربية-الدار البيضاء 1982م.

5-مكانة اللغة العربية....مجلة التعريب - العدد 1 / آذار 1991 ، ص 19.